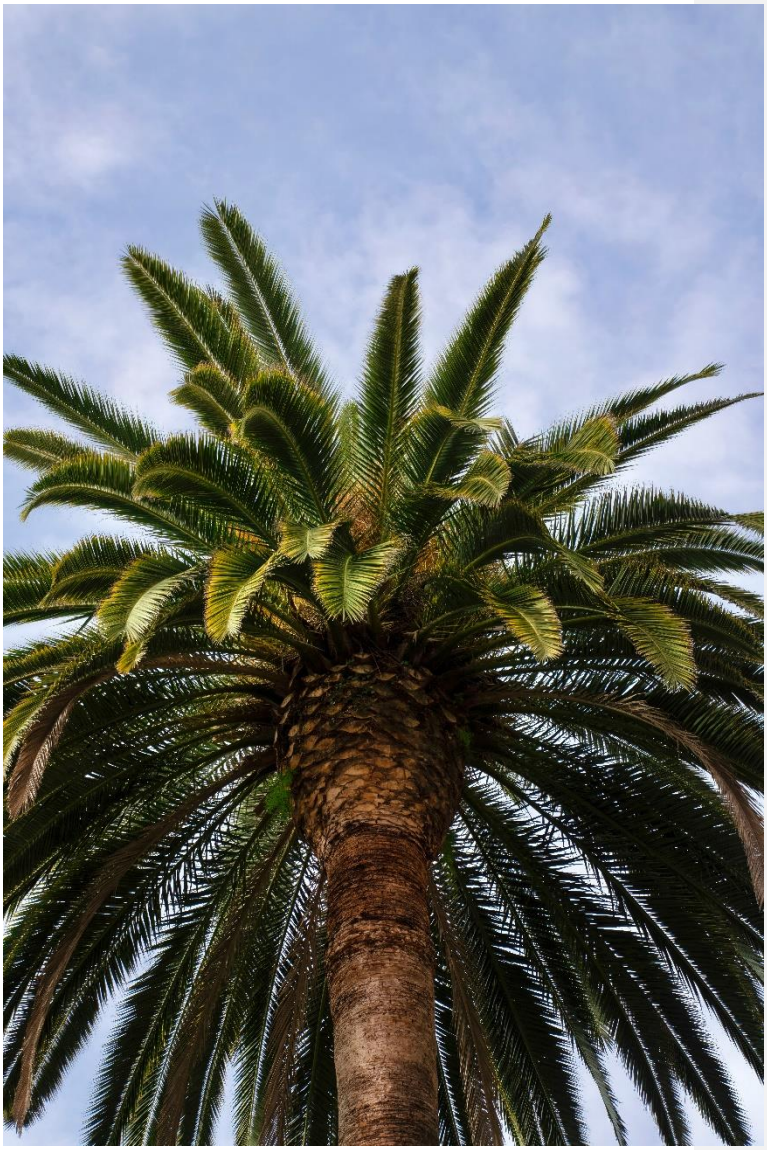

تفريغ محاضرة

كيفَ سيُرْفَعُ عَمَلُك؟

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٥/٨/٢ هـ

"كيفَ سيُرْفَعُ عَمَلُك؟"

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيم

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مُضِلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسولُ الله.

عندما نريد أن نتحدث عن رفع أعمالنا وكيف سترفع هذه الأعمال لابد أن نعرف أولًا متى سيكون ذلك؟ وماهي أهم مواقيت رفع هذه الأعمال؟

❖ أهمُّ مواقيتِ رفعِ أعمالِ العباد:

▪ العصرُ والفجرُ:

لقد علّمَنا النبيُّ ﷺ أنّ أعمالَ العبادِ تُرفَعُ هنالك بشكلٍ يوميٍّ في أيّ وقتٍ؛ يقول النبي ﷺ: "يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"[1]؛ فيتعاقب فيكم ملائكةٌ على نوبَتَيْن؛ طائفةٌ ينزلون في وقتٍ ثمّ يرتفعونَ في الوقتِ الآخر، وينزلُ آخرونَ، فيتقابلونَ، فلا تخلو الأرضُ منهم أبدًا، طائفةٌ من العصرِ إلى الفجر، وأخرى من الفجرِ إلى العصر، فاللهُ عز وجل يسألُ من يصعدُ إليه: **"كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟"** وكلُّ مجموعة من هؤلاء يقولون: **" تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ"**، فحالُ هؤلاءِ العبادِ عند اللهِ عز وجل أنّهم طيلة الوقتِ في انتظارِ لحظةِ رفعِ الأعمال. فهل نحن من الذين ينتظرون الصّلاة؟ ولاحظ الوقتين، حيث لا يكون العبد عادةً فيهما بذروةِ نشاطه، فغالبًا هذان الوقتان هما أشدُّ الصلوات كما قال النبي ﷺ: "أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ الْعِشَاءُ وَالْفَجْرُ"[2]، فالذي يفرّط في هذين الوقتين وهو يعلم أنّ أعماله تُعرَض على الله عز وجل فيهما هناك خللٌ في قلبه.

ومن المعروف أنّ مصيرَ أيّ إنسانٍ إمّا إلى عذابٍ سَرمديٍّ أو إلى نعيمٍ سَرمديٍّ، فاقصدْ طريقَ الصّواب، وعجِّلْ إلى تبييضِ صُحُفِ أعمالك، واجعلِ الجنّةَ هدفًا لك، وارجُ اللهَ ذا الفضلِ والعطاءِ والكرمِ والمِنّةِ أن يجعلَكَ من أهلِها، ففيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذُنٌ سمعتْ، ولا خطرَ على بالِ أحدٍ، وبعد هذا النّعيمِ أعظمُ نعيمٍ على الإطلاق، وهو رؤيةُ

[1] أخرجه البخاري في صحيحه.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه.

الله عز وجل؛ فعن جريرِ بن عبد الله البجلي -رضي الله عنه- أنّهم كانوا مع النبي ﷺ فنظر إلى القمرِ ليلةَ البدر، فقال ﷺ: **"أَمَا إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لَا تُضَامُّونَ [أي: لا يصيبكم تعبٌ ولا مَشقّة] أَوْ لَا تُضَاهُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا. ثُمَّ قَالَ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾"**[٣]،فيومَ القيامة يرى المؤمنون في الجنّةِ اللهَ جل جلاله كما يرونَ القمرَ ليلةَ البدر، وليس معنى ذلك أنّ اللهَ تعالى مثلَ القمر؛ ذلك لأنّ الله تعالى ليسَ كمثلِه شيءٌ، بل هو أعظمُ وأجلُّ، لكنّ المُرادَ من المعنى تشبيهُ الرّؤية بالرّؤية لا المرئيِّ بالمرئيّ، فكما أنّنا نرى القمرَ ليلةَ البدر رؤيةً حقيقةً ليس فيها اشتباهٌ، فإنّنا سنرى ربَّنا عز وجل كما نرى هذا القمرَ رؤيةً حقيقةً بالعينِ دونَ اشتباهٍ، وإنّ ألذَّ نعيمٍ وأطيبَ نعيمٍ عند أهل الجنة هو النّظرُ إلى وجهِ الله جل جلاله. **"فإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ"** أي: على أنْ تأتوا بهما كصلاتينِ ومنها أن تصلّي في جماعة، **"فافعلوا"**: وفي هذا دليلٌ على أنّ المحافظةَ على صلاتي الفجرِ والعصر من أسبابِ النظرِ إلى وجه الله تبارك وتعالى.

- **يوما الاثنين والخميس:**

في الأسبوعِ يومان تُرفَعُ فيهما أعمالُ العبادِ إلى الله عز وجل، هما (الاثنين والخميس).
عن ربيعةَ بن الغازِ أنّه سأل عائشةَ -رضي الله عنها- عن صيامِ رسول الله ﷺ فقالت: **"كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَحَرَّى صَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ"**[٤]، أي: كان يسألُ عنهما ليحرصَ على صومِهما.

وعن أُسامةَ بن زيد -رضي الله عنه- قال: قلتُ: "يا رسولَ اللّه؛ إنّك تصومُ حتّى لا تكادُ تفطِر، وتفطرُ حتّى لا تكادُ أن تصومَ، إلّا يومين إن دخلا في صيامِكَ وإلّا صمتَهما [أي: لماذا تتحرّى هذين اليومين بالذّات]؟ قال: **"أَيُّ يَوْمَيْنِ؟"** قلتُ: "يومَ الاثنين، ويومَ الخميس"، قال: **"ذَانِكَ يَوْمَانِ تعْرَضُ فيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلي، وَأَنَا صَائِمٌ"**[٥].

أرجو بعد هذا كلّه أنْ نعيَ أهميّةَ هذا الكلام وأهميّةَ الأوقات التي أرشدنا إليها نبيُّنا ﷺ، فهلّا راقبتَ نفسَك وأفعالَك فيها، وهل أنجزتَ ما وصّاكَ به حبيبُك النبي ﷺ أو بعضَه؟ فكيف كان تحرّيكَ؟ كيف استقبلتَ هذه الوصايا؟ بالتّنفيذ أم بالتّفريط؟

---

[٣] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٤] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

[٥] أخرجه النّسائي في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

فتخيّلْ -حفظكَ الله- أنّ بعضَ النّاس -عافانا اللهُ وإيّاهم- يقضون حياتَهم يحرقون أعمارَهم، أضاعوا العملَ، وفرّطوا ببركةِ العمر!

وفي أحد الأيام كنتُ أستمعُ لأحدِ الشّيوخ إذْ كان يقول: إنّي أشعرُ ببركةٍ لا تُضَاهَى عند قراءةِ وِردِيَ القرآنيِّ في الصّباح الباكر، وبفَتْحٍ من الله تعالى في سائرِ يومي، أمّا في اليوم الذي ألهو فيه عن وِردِي فإنّي أشعرُ بقلّةِ البركة، وضَعفِ الإنجاز، وكأنّ الوقتَ يُسلَبُ سَلبًا، فالنبي ﷺ يقول: "اللّهم بارِكْ لأُمّتي في بُكورِها"[٦].

فإيّاكَ أنْ تسألَ عن الأرزاقِ ولا عن بركةِ الإيمان إذا أضعتَ هذه الوصيّة.

- **شهرُ شعبان:**

ها هو شهرُ شعبانَ قد دخلَ علينا بأبهى حُلّة، حيثُ أنعمَ اللهُ عز وجل علينا بإنزالِ الغيث، وكما هو معروفٌ فإنّ شهرَ شعبانَ تحضيرٌ لرمضان، إذْ كان يحتفي به النبي ﷺ احتفاءً شديدًا، فعندما نقول (شعبان) يتبادرُ إلى أذهانِنا مباشرةً الحديثُ التالي: عن أسامة بن زيد قال: قلتُ: يا رسول اللّه؛ لَمْ أركَ تصومُ شهرًا من الشّهور ما تصومُ من شعبان؟ قال: "ذلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلي، وَأَنَا صَائِمٌ"[٧].

وتقول عائشة -رضي الله عنها- فيما يخصُّ صيامَ الرسول ﷺ في شهرِ شعبان: "كَانَ يصومُ شعبانَ إلّا قليلًا، كانَ يصومُ شعبانَ كلَّه"[٨].

وليس المقصودُ أنّ السُّنّةَ في وصلِ الشهرين ببعضهما، وإنما صومُ أغلبِ شهر شعبان، وأنت كمسلمٍ إنْ لم تستطعْ صومَ أغلبِه، فصُمْ منه ما استطعت، يقول الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التّغابن: ١٦]، ولكلِّ إنسانٍ ظروفُه الخاصّة، فإذا سمحتْ لك ظروفُك بأداءِ الصّيام فافعلْ، فإنك في تجارةٍ رابحةٍ، وربما غيرُك يتمنّى أنْ يمتلكَ صحّتَك كي يصومَ ولو يومًا واحدًا؛ فقد جاءَ أحدُ الصّحابة إلى النبي ﷺ وكان يسرُدُ الصّيام في شعبان، قال له النبي ﷺ: "صُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، قَالَ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَمَا زَالَ حَتَّى قَالَ: صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا"[٩].

---

[٦] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني لغيره.

[٧] أخرجه النّسائي في سننه، وحسّنه الألباني.

[٨] أخرجه النّسائي في سننه، وصحّحه الألباني.

[٩] أخرجه البخاري في صحيحه.

لقد فهِمَ الصّحابةُ والتابعونَ مِن بعدِهم أهميّةَ هذا الشّهر، وتواترتْ فيه أعمالُ السّلف، فكانوا يسمّونه شهرَ القُرّاء؛ لأنّهم يُكثّفون قراءةَ القرآنِ الكريم فيه، حيثُ كانوا إذا بلغوا شعبانَ أغلقوا حوانيتَهم، وغيّروا جدولَ حياتِهم اليوميّ، وتفرّغوا للقرآنِ العظيم تلاوةً، وحفظًا، وتفسيرًا... استعدادًا لرمضان، لا إنهم ينتظرون رمضان حتى يبدؤوا السّباق.

والشّيءُ بالشّيءِ يُذكَر؛ فالنبي ﷺ يقول: **"أَفْضَلُ الصِّيَامِ، بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، صِيَامُ شَهْرِ اللَّهِ الْمُحَرَّمِ"**[١٠]، لكن هل صامَ النبي ﷺ شهرَ الله المحرم كلَّه؟ أو حتى أكثرَه؟ لا، وإنّما يُسَنُّ الإكثار من الصيام في محرم.

❖ تبييضُ الصّحائف:

يجعلُ اللهُ عز وجل يومَ القيامةِ عملَ كلِّ إنسانٍ مِن خيرٍ أو شرٍّ مُلازِمًا له، فلا يُحاسَبُ بعملِ غيره، ولا يُحاسَبُ غيرُه بعملِه، ويُخرِجُ اللهُ كتابًا قد سُجِّلتْ فيه أعمالُه يراه مفتوحًا، ويُقال له: اقرأْ كتابَ أعمالِك، فيقرأُ وإنْ لم يكنْ يعرف القراءة في الدّنيا، تكفيكَ نفسُك اليومَ مُحصيةً عليك عملَك، فتعرِف ما عليها من جزاءٍ، وهذا -واللهِ- من عظيمِ العدلِ والإنصافِ أن يقال للعبد: حاسبْ نفسَك، كفى بها حسيبًا عليك؛ يقول جل من قائلٍ: **﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا(١٣)اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾** [الإسراء: ١٣-١٤].

ومِن رحمةِ اللهِ جل جلاله أن أوجدَ لنا وسائلَ نفعلُها لتبييضِ صحائفَنا، ولمحوِ ذنوبِنا، ولإصلاحِ أعمالِنا، وبالتّالي لرفعِها بأبهى صورةٍ، وهي كثيرةٌ، إذْ لا يتّسعُ لها مقامٌ ولا مقالٌ، وأهمُّها:

- **<u>أولًا- التّوبةُ والاستغفارُ:</u>**

إنّ اللهَ تعالى يحبُّ التّوّابينَ، كثيري التّوبةِ للهِ تعالى؛ لأنَّ هؤلاءِ جعلوا التّوبةَ ديدنَ حياتِهم، فكنْ عبدًا أوّابًا توّابًا كثيرَ الاستغفارِ يعلُ شأنُكَ، ويُغفَرْ ذنبُك، وتكنْ من المُكرمينَ عند اللهِ تعالى، وثابرْ في إزالةِ السّيّئاتِ من صحيفتِكَ بطريقِ الاستغفارِ؛ يقول النبي ﷺ: **"مَنْ أحبَّ أن تسرَّه صحيفتُه؛ فليُكثرْ فيها من الاستغفار"**[١١]، فإذا أردْتَ أن تكونَ مسرورًا فأكثِرْ من الاستغفارِ ما استطعتَ، يقول الحسنُ البصري: **"أيّها النّاسُ أديموا الاستغفار".**

---

[١٠] أخرجه مسلم في صحيحه.

[١١] أخرجه البيهقي في شعبِ الإيمان، وحسّنه الألباني.

يقول النبي ﷺ: "طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا"[١٢]، **"طوبى"** قيل: شجرةٌ في الجنّة، وقيل: هنيئًا له، فتخيّلْ تهنئةَ النبي ﷺ لك.

إنّ كثرةَ الذّنوبِ والمعاصي تقسّي القلبَ، وتصبغُه بعلاماتٍ سوداءَ حتّى يتحوّلَ إلى سوادٍ خالصٍ، ويعلوه الرّان -الغطاء- فإن أقلعَ العبدُ عن المعاصي والذنوب، واستغفرَ اللّهَ تعالى عمّا اقترفَ فإنّ اللّهَ يطهّرهُ، وإن أتبعَ ذنبَه بذنوبٍ أخرى دون توبةٍ زادت تلك العلاماتُ السوداءُ في قلبِه حتّى يصيرَ قلبُه أسْودَ خالصًا؛ يقول النبيّ ﷺ: "إذا أذنبَ العبدُ نُكِتَتْ في قلبه نُكتةٌ سوداءُ، فإن تابَ ونزعَ واستغفرَ صُقِلَ قلبُه، وإن زادَ زِيدَ فيها حتّى يعلو قلبَه، فذلكَ الرّانُ الذي قال اللّهُ تعالى: ﴿كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾"[١٣].

كما أنّ الذّنوبَ تمنعُ الإنسانَ من أداءِ العمل حتّى وإنْ هَمَّ به، والاستغفارُ في هذه الحالةِ هو المُنقِذُ الوحيد؛ فقد ذُكِرَ أنْ جاءَ رجلٌ إلى الحسنِ البصري-رحمه الله- وقال: يا أبا سعيدٍ! إنّي أبيتُ أُعِدُّ طَهوري: [أي: وضوءه]، ثم لا أقومُ اللّيلَ! [أي: أستعدُّ للقيام ولا أقوم]، فقال له الحسن البصري: **"أنتَ رجلٌ كبّلتْكَ ذنوبُك"**. ويقول أبو سليمان الدّاراني-رحمه الله-: **"واللهِ ما فُقِدتْ فريضةٌ إلّا بذنبٍ، ومن أحسنَ في ليلهِ كوفئَ في نهارِه، ومن أحسنَ في نهارِه كوفئَ في ليله".**

ولا بدَّ للمسلمِ أن ينتبهَ لذنوبِه، وأن يحصيَها، ويعلمَ أنّها سببٌ في حجبِه عن الخيرِ، يقول سفيان الثّوري-رحمه الله- وهو إمامُ المحدّثين: **"حُرِمتُ قيامَ اللّيل خمسةَ أشهرٍ بذنبٍ أذنبتُه"**، فقالوا له: **أيُّ ذنبٍ؟** فقال: **"مررتُ برجلٍ في الحرمِ وهو يصلّي فقلتُ في نفسي: هذا مُرائي".**

عن أبي سعيدٍ الخدْري رضي الله عنه: عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال إبليس: [يخاطب اللّهَ عز وجل]: "وعزّتِكَ لا أبرَحُ أُغوي عبادَك ما دامتْ أرواحُهم في أجسادِهم، فقالَ: وعزّتي وجلالي لا أزالُ أغفرُ لهم ما استغفرونِي"[١٤].

وقال النبي ﷺ: "مَنْ قالَ: أَستغفِرُ اللّهَ الّذي لا إلَهَ إلّا هو الحيُّ القيُّومُ، وأَتوبُ إليه، غُفِرَ لهُ، وإنْ كان فرّ مِنَ الزّحفِ"[١٥]. فالفرارُ من الزّحفِ من سبعة الكبائر، وقد يغفر الله سبحانهُ وتعالى للفارِّ من الزّحفِ إنْ حققَّ الاستغفار.

---

[١٢] أخرجه ابن ماجه في سننه، وصحّحه الألباني.

[١٣] أخرجه التّرمذي في سننه، وحسّنه الألباني.

[١٤] ذُكرَ في صحيح التّرغيب، وقال الألباني: حسنٌ لغيره.

[١٥] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني لغيره.

وقال النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ إِلَى الْعَبْدِ إِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، إِنِّي قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. قَالَ: عَبْدِي عَرَفَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ وَيُعَاقِبُ"[١٦]، فتخيّلْ جملةً واحدةً تقولُها بقلبٍ مُتيقّنٍ توحّدُ الله تعالى بها، ثمّ تعترفُ بذنبِك وبظلمِك لنفسِك، راجيًا اللّهَ تعالى أن يغفرَ لك، يُحسَبُ لك هذا عند الله يقينٌ بأنّ لك إلهًا يغفرُ ذنوبَك أو يعاقبُك عليها.

- **ثانيًا- عدمُ التّصالُحِ مع الذّنوب:**

فلو تصالحَ العبدُ مع الذّنوبِ لَفتحَ على نفسِه أبوابًا لِتسلُّلِ الشّياطينَ إليه، لذلك يتحتّمُ على مَن يريدُ قَفْلَ هذه الأبوابِ أن يقوّيَ جهازَ مناعتِه الإيمانيّ، بالتّوحيد؛ لأنَّ (لا إلهَ إلّا اللّه) نورُ القلبِ وأمانُه من أيِّ خطرٍ يحيطُ به، ووسيلةٌ لدحضِ الشّياطين، فكلّما ضَعُفَ هذا النّور، أصبحَ الموضوعُ عكسيًّا، وأصبحَ الجهازُ المناعيُّ هَشًّا، وانهارتْ القدراتُ الدّفاعية، ولم تعدْ هناكَ أيُّ طاقةٍ لمهاجمةِ الشّياطينَ، بل سيبدأُ بمهاجمةِ نفسِه، ويكونُ عونًا للشّياطينَ عليها إلى أن يتصالحَ مع ذنوبِه، ويموتَ ضميرُه، فيرتكبُ الذّنوبَ كأنّها شيءٌ مسموحٌ، بل ويتفاخرُ بها دون أدنى مراجعةٍ للنّفس، أو تفكيرٍ بالعواقب.

- **ثالثًا- الصّدَقةُ:**

الصّدقةُ من أجملِ الأعمالِ وأنفعِها، فهي تجلِبُ البركاتِ للمُعطي وللمُتلقّي على حدٍّ سواء، وقد وُعِد المُتصدّقُ بالأجرِ والثوابِ العظيمِ من اللّهِ تعالى، من ذلك إطفاءُ غضبِ الرّبّ، ودفعُ ميتةِ السّوء، وجلبُ الرّزق، ودفعُ البلاء، لذا فإنّ أثرَ الصّدقةِ يتخطّى الماديّاتِ ليشمَلَ تزكيةَ النّفسِ وتطهيرَها، وللصّدقةِ في الإسلامِ مكانةٌ عظيمةٌ وفضلٌ جليلٌ، وهي دلالةٌ على قوّةِ الإيمانِ في قلبِ العابد، ولها دورٌ لا يُحَدُّ في تبييضِ صحائفَ العباد.

وهناكَ ما هو أعلى وأعظمُ من ذلك؛ إنّها **صدقةُ السّرِّ**، وهي التي يُخفيها الإنسانُ حتّى لا يعلمَ بها إلّا اللّهُ سبحانَه وتعالى، بحيثُ لا تعلمُ شِمالُ العبدِ ما أنفقتْ يمينُه، ولا يمينُه تعلمُ ما أنفقتْ شمالُه، وتحملُ السّريّةُ فيها قيمةً عاليةً جدًّا، حيث تعكسُ إخلاصَ العبدِ ونيّتَه الصّافيةَ في طلبِ رضا الله عز وجل، دونَ قصْدِ أيِّ مدحٍ أو شكرٍ من النّاس، كما أنّ صدقةَ السّرِّ تنمّي في النفسِ الاستقامةَ والأمانة، وتُعلّمُها العفّةَ والتّعفُّفَ عن حبِّ الظّهور، كما أنّ لصدقةِ السّرِّ خصوصيّةٌ فريدةٌ ومفعولٌ عجيبٌ في محوِ الذّنوبِ والخطايا، وهذا ما يخصُّ درسَنا الحاليّ، فهي وسيلةٌ عظمى في تكفيرِ السّيّئات.

[١٦] أخرجه الحاكم في مستدركه، وصحّحه الألباني.

يقول الله عز وجل: ﴿**إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾ [البقرة: ٢٧١] فإنْ أبداها الإنسانُ فهذا عملٌ محمودٌ، وإنْ أخفاها وأسرَّها وأعطاها الفقراءَ فهذا أفضل؛ لأنّه أبعدُ عن الرّياء، وأقربُ للإخلاص، واللهُ خبيرٌ يعلمُ الخفايا، فلمّا أخفَوا صدقاتِهم ووضعوها في منافذِها محا الله تعالى ذنوبَهم.

قال النبي ﷺ لمعاذِ بن جبلٍ رضي الله عنه: "**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ** [أي: وقايةٌ وسَترٌ من النّار]، **وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**"[١٧].

ويقول النبي ﷺ في حديثٍ آخرَ: "**صدقةُ السِّرِّ تُطفئُ غضبَ الربِّ**"[١٨]، فحتّى إنْ خافَ الإنسانُ من ضَعفِ مِقدارِه ومرتبتِه عند ربّه جل وعلا، فعليه بالصّدقة.

ويقول النبي ﷺ: "**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لصاحِبِها، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ** [المُهر]، **حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ**"[١٩]، وعلى من يتصدَّقُ أن ينفقَ حلالًا، لأنَّ اللهَ لا يقبلُ إلّا الحلالَ الطيّب، فمَن تصدّقَ بمثلِ قيمةِ تمرةٍ حلالًا خالٍ من الغشِّ والخديعة، فسيقبلُها الله تعالى بيمينِه كما يليقُ به جل جلاله من غيرِ تأويلٍ ولا تحريف، فيُنَمِّيها ويُضاعِفُ أجرَها كما يُربّي أحدُكم مُهرَه [صغير الحصان]حتّى يكبر.

- **رابعًا- غَسْلُ المَوتَى:**

يقول النبي ﷺ: "**منْ غسلَ ميّتًا فسترَه، سترهُ اللهُ من الذّنوب، ومن كفّنه كساهُ اللهُ من السُّندس**"[٢٠]، فهذا العملُ الذي لا يأبهُ له بعضُ النّاس ويتهرّبونَ منه، فيهِ من الأجرِ العظيمِ كما ذُكرَ في الحديث.

---

[١٧] أخرجه التّرمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

[١٨] أخرجه الطبراني في معجمه الصغير، وصحّحه الألباني.

[١٩] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٢٠] أخرجه الطبراني في معجمه الكبير، وحسّنه الألباني.

- **خامسًا- العَفوُ والتَّسامُح:**

اعلمْ -أخي في الله- أنّك عندما تسامحُ من أساءَ إليكَ أو ظلمكَ فإنّ ذلك سببٌ في غفرانِ الله تعالى لك، وعفوِه عنك، وكلّما تحاملْتَ على نفسِك علا شأنُك عند الله عز وجل؛ يقول النبي ﷺ: "ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ"[٢١].

قال النبي ﷺ: "إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَكَانَ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ :خُذْ مَا تَيَسَّر واتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ لَعَلَّ اللهُ تَعَالَى، أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ :هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ، قَالَ :لا، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لي غُلامٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ :خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللهُ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، قَالَ اللهُ تَعَالَى :قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ"[٢٢]؛ هذا رجلٌ من الأممِ السّالفةِ أخبرنا عنه سيّدنا محمد -صلّى الله عليه وسلّم- كانَ ميسورَ الحال، لكنّه لم يعملْ خيرًا قطّ، وكان يُقرِضُ النّاسَ المال، ويطلبُ من خَادِمِه أنْ يتجاوزَ عمّن تعسَّرَ عليه ردُّ الدَّين، ويأملُ من الله تعالى العفوَ والفضلَ والتّجاوزَ الأعظم، على الرّغم من أنّ سجلّاتِه خاليةٌ تمامًا من أيِّ عملٍ صالح، فكما تعفو يُعفَى عنك، وكما تُسامِحُ تُسَامَح.

- **سادسًا- المصائبُ والآلام:**

إنّ من عظيمِ فضلِ الله تعالى ومِنَّتِه علينا أنّه جعلَ تعرُّضَنا للأوجاعِ والابتلاءاتِ سببًا من أسبابِ محوِ الذّنوب وتكفيرِ السّيّئات، يقول النبي ﷺ: "مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سيئاتِه، كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا"[٢٣].

- **سابعًا- الأذانُ:**

يقول النبي ﷺ: "المؤذِّنُ يُغفَرُ لهُ مَدَى صوتِه، ويشهدُ لهُ كلُّ رَطْبٍ ويابس، وشاهدُ الصّلاةِ يُكْتَبُ له خمسٌ وعشرون صلاةً، ويُكَفَّرُ عنه ما بينهما"[٢٤]، فهلّا تأمّلتُم هذا الخيرَ الوفير، ولهذا كان عليكم أنْ تعلّمُوا أبناءَكم تأديةَ الأذانِ وأحكامِه.

---

[٢١] أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وهو صحيح.

[٢٢] أخرجه النّسائي في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

[٢٣] أخرجه البخاري في صحيحه.

ويقول النبي ﷺ: "يَعْجَبُ رَبُّكُمْ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ فِي رَأْسِ شَظِيَّةٍ بِجَبَلٍ [الشّظيّة: القطعةُ المرتفعةُ في رأس الجبل]، يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ، وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ :انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ"[٢٥]؛ يَعجَبُ اللهُ تبارك وتعالى -على ما يليقُ بجلاله وإثباتِ صفةِ العجبِ من غيرِ تمثيلٍ- من راعي غنمٍ في بقعةٍ مرتفعةٍ في رأس جبلٍ، يؤذّنُ للصلاةِ ويصلّي، وفائدةُ الأذانِ -وهو لوحدِه- أن يشهدَ لهُ كلُّ رطبٍ ويابس، فيقول الله جل جلاله لملائكتِه: انظروا إلى عبدي هذا -فتعجبُ الملائكةُ بعدَ عجبِه عزّ وجلّ لمزيدٍ من التّفخيمِ لشأنِه- يفعلُ ذلك خوفًا منّي لا ليراهُ أحد، قد غفرتُ له، وأدخلتُه الجنّة.

ويقول النبي ﷺ: "مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ"[٢٦]، يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هذه تقالُ إذا قال المؤذّنُ (أشهد أنْ لا إلهَ إلّا الله، وأشهدُ أنّ محمّدًا رسولُ الله).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قالَ حين يسمع النّداءَ: اللّهمّ ربَّ هذه الدّعوةِ التّامّة، والصّلاة القائمة، آتِ محمّدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثهُ مَقامًا محمودًا الذي وعدْتَه، حلّتْ له شفاعتي يومَ القيامة"[٢٧] ، وهذا يُقال بعد الأذان.

- **ثامنًا- نبْذُ القطيعة:**

يقول النبي ﷺ: "لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ"[٢٨]؛ وأقامَ الإسلامُ العَلاقةَ بيْنَ المُسلِمينَ على الأُخوَّةِ والمَودَّةِ، والوحدةِ والتَّعاوُن، وذَمَّ التَّهاجُرَ والقطيعةَ والتَّباغُض، وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: لا يَحِلُّ لِمُسلِمٍ أنْ يَقطعَ علاقتَه بمسلمٍ أكثرَ من ثَلاثِ لَيالٍ، دونَ سَبَبٍ شَرعيٍّ، وإنْ فعَلَ الطَّرَفانِ ذلك، فإنَّهما مُتَنحِّيانِ ومُعرِضانِ عن الحقِّ ما داما على الهَجْرِ والتَّدابُرِ. وأوَّلُهما رجوعًا إلى الصُّلحِ يكونُ سبقه كَفَّارةً له، فيمحو اللهُ له ذنبَ القطيعة.

وإن بادرَ أحدُهما بالسلام ولم يقبلِ الآخرُ سلامَه أجابتْ الملائِكةُ تحيّةَ من بدأَ السّلام وحَيَّتْهُ، أمَّا مَن رفَضَ إجابةَ السَّلامِ، فإنَّه يُجيبُهُ شَيطانٌ، فيُوَسوِسُ له بالشَّرِّ. وإنْ ماتا وهما مُصرَّين على الهَجْرِ، لم يَدخُلا الجَنَّةَ جميعًا أبَدًا. وهذا مِن التَّغليظِ في النَّهيِ عن التَّدابُرِ، والتَّقاطُعِ بيْنَ المُسلِمينَ.

---

[٢٤] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[٢٥] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[٢٦] أخرجه مسلم في صحيحه.

[٢٧] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٢٨] أخرجه مسلم في صحيحه.

- **تاسعًا- الخُلقُ الحَسَنُ:**

الأخلاقُ الحسَنةُ كثيرةٌ، لكنّني أودُّ أن أذكرَ مثالًا عن السّماحة؛ قال النبي ﷺ: **"رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى"**[٢٩] ، "رَحِمَ اللهُ رَجُلاً" دعاءٌ بالرّحمة لكلِّ مَن اتَّصفَ بالسّماحةِ في بيعِه وشرائِه، وأخذِه الدّيون، سواءٌ كان رجلاً أو امرأة، فيتساهلُ مع إخوتِه في البيعِ فلا يشددُ على المشتري في سعرِها، بل يضعُ عنه من ثمنِها، ولا يجادلُ إذا اشترى شيئًا ولا يبخسُ في سعرِه وإذا طلبَ دينَه كان سهلاً، فيطلبه بالرفق واللطف لا بالعنف.

- **عاشرًا- الحَمْدُ:**

لا ينبغي للعبدِ أن يتوقّفَ عن حمدِ الله عز وجل في سائرِ ظروفِه وأحوالِه.

يقول النبي ﷺ: **"مَن أَكَلَ طَعامًا، فَقال: الحَمدُ للهِ الَّذِي أَطعَمَنِي هَذا ورَزَقَنِيهِ، مِن غَيرِ حَولٍ مِنِّي ولَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِه"**[٣٠] ، فيا لها من خسارةٍ ننالُها عندما نجلسُ إلى الطّعام ويسرقُنا الكلامُ والضحك إلى أنْ يُنسِيَنا البسملةَ بالبداية، والحمدَ في النّهاية!

ويقول النبي ﷺ: **"مَن لَبِسَ ثَوبًا، فَقال: الحَمدُ للهِ الَّذِي كَساني هَذا، مِن غَيرِ حَولٍ مِنِّي ولَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِهِ"**[٣١].

أسألُ اللهَ ذا الجلالِ والإكرام أن يجعلَني وإيّاكم ممّن تُقبّلتْ منهم أعمالُهم، وكُفِّرتْ عنهم سيّئاتُهم، وأسألُه تبارك وتعالى أن يجعلَ خيرَ أعمالِنا خواتيمَها، وخيرَ أيّامِنا يومَ أن نلقاه، وأن يباركَ لنا في هذا الشهرِ شهرِ شعبان، وأن يُبلِّغَنا رمضانَ عُتقاءَ مقبولين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدِنا محمّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

---

[٢٩] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٣٠] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٣١] أخرجه البخاري في صحيحه.